الترابط الدلالي بين الجمل في ضوء معايير تحليل الخطاب (٢)
الروابط العامة بين جمل النص

الدكتور

فيصل محمد حسن العسيري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

هذه الدراسة امتداد لدراسة سابقة تحدثت فيها عن الروابط اللفظية والمعنوية داخل النص، والتي بينت فيها روابط عديدة تربط بين جزئيات النص ربطًا دلاليًا مسوغًا للوصل والفصل بين الجمل، إلا أن الروابط الدلالية لا تقتصر على هذا الحد؛ لئن الدلالة الكلية للنص من متمماتها دراسة الروابط بين أول النص وآخره ووسطه، وعلاقة النص بما يحيط به وما لا يحيط به من النصوص والدلالات، فكان هذا البحث مكمل لما سبق الحديث عنه.

فالنص وحدة لغوية كبرى، ويتكون من عدة مكونات دلالية تعبر عن مراد الكاتب وأفكاره في حدود الإطار المتماسك، وعلاقات النص بالوحدات الدلالية الدالة عليه.(١)

هذه العلاقات متعددة ومتنوعه، منها ما يتعلق بعنوان المقطوعة الأدبية وإطلالتها الأولى، أو عناوينها الفرعية، أو علاقة أول النص بآخره، وأوله بفقره، وعلاقة مضمونه بآخره، أي: خاتمته، وهو ما يعرف بالتناسب الإجمالي بين النصوص.

---

(١) الأسلوب والأسلوبية: ١٧٥، لكراهم هاف. ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق، القاهرة_ مصر_ ط١: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.ودلالة السياق : ٥٤ ردة الله الطلحي.

أما أهمية هذا النوع من الدراسة التحليلية فتكمن في:

- إبراز الروابط بين مجموعة من الجمل مع مجموعة أخرى، أوبين وحدات النص وفقراته.
- إظهار الخاصية التناسبية بين وحدات النص التي سوغت التسلسل الفكري والمعنوي بين الفقرات، ووحدات النص الكبرى.
- إظهار علاقات النص بالوحدات الدلالية المحيطة به، أو التي تتصل به دلاليًا.

وقد حرصت على تتبع مواطن الدلالة النصية الكبرى والعامة بين الوحدات المختلفة، والوحدات الدلالية الخارجية، التي تبين جماليات النص، وخصائصه الدلالية والبيانية، في إطارين مختلفين، حيث تضمن البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين: تحدثت في **المبحث الأول** : عن الروابط بين وحدات النص الواحد، وفي **المبحث الثاني**: تحدث البحث عن علاقة النص بالوحدات القريبة منه، ثم **الخاتمة والفهارس**.

كما حرص البحث على إيراد الشواهد لكل علاقة تناولتها بالدراسة، مع تنوع الشاهد بين القرآن أو الحديث، أو أبيات من أشعار العرب، حتى تقدم الدراسة نموذجًا للتنوع الدلالي للعلاقات بين النصوص، واختلاف العنصر الدلالي؛ تبعًا لاختلاف نوع النص.

أما منهج البحث فقد سلك المنهج التكاملي الذي يجمع بين المنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي لتتبع آراء النقاد والبلاغيين في مسائل البحث، ويعمد إلى استخدام المنهج التاريخي أو غيره من المناهج بحسب نوع العلاقة والنص والشاهد.

آمل أن تسلط الدراسة الضوء على الروابط بين أجزاء النص، وتقدم نموذجًا للدلالة السياقية العامة بين النصوص؛ مما يفيد القارئ الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الترابط بين وحدات النص

هذه الروابط تعنى بدائرة أكبر من الدلالة التركيبية البسيطة، فهي تمثل السياق العام، أو الأطر التركيبية، أو سياق البنية النصية، وعلاقة الفقر بعضها ببعض، والإطار العام للنص الوارد فيه أو المنبثق عنه، والجمل المترابطة في نص واحد على إطار أكبر من العلاقات بين مجموعة من الجمل والفقر داخل نص واحد، أو علاقات النصوص فيما بينها على إطار الجمل داخل حدود القطعة الأدبية، وجمل أخرى في نص آخر.

فالنص كلٌ متماسكٌ تحده مجموعة من الحدود النصية؛ التي تشكل كتلة مترابطة بفعل العلاقات التركيبية بين الموضوعات الداخلية، ومن أهم مقومات النص الترابط والانسجام؛ إذ النصية نتاج تشكل مزدوج مقطعي وتداولي.

في هذا المعرض سأبين الأطر التنظيمية للعلاقات العامة المنظمة لجمل النص وعباراته:

١-**غرض النص ومقصده:** فهو الغرض المطلوب تحقيقه، والمقصد العام الذي سيق النص من أجله، والهدف الكلي الذي بنيت النصوص على أساسه.(١)

والغرض في اللغة: الهدف والقصد والحاجة، وجمعه أغراض، وغرضه كذا، أي: حاجته وبغيته، وفهمت غرضك، أي: قصدك، والمقصد: الوجهة والاعتزام والغرض المطلوب تحققه منه.(٢)

---

(١) انظر: البديع لابن المعتز: ٤٣، دار الجيل، بيروت_لبنان، ط٤.

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : ١/ ١٥٥، للبقاعي، مكتبة دار المعارف، الرياض_ السعودية_، ط١: ١٤٠٨هـ.

فالشاعر والناظم للمقطوعة النثرية عندما يهم بنظم يقصد من وراء نظمه غاية يسعى إلى تحقيقها، وهدفًا يتطلع الوصول إليه.

وغرض النص أو مقصودة هو النواة الأولى لتكوين النص وربط فقره وأجزائه ومضامينه به، فيسمى المقصد العام الذي نظمت الجمل لأجله، والغاية الكبرى التي يراد الوصول إليها من خلال عرض هذه المعاني الظاهرة.

أما المضامين فهي مجمل المعاني الظاهرة التي يتناولها النص، فتنظم وتسبك وتربط بين جمله وفقره من أجل تحقيق وأداء الغرض العام.[١]

هذا النوع من الدراسة كان له حظ وافر في الدراسات القرآنية المتنوعة، وخاصة عند البقاعي[٢] وأبي حيان الأندلسي[٣]، وابن الزبير الثقفي[٤]، وغيرهم.

من شواهده: سورة الأنفال: ومقصودها بيان قسمة الغنائم، ومصارفها، ((افتتحت السورة بحكاية السؤال والجواب إجمالًا، ثم استطردت الآيات بشرح قصة معركة بدر، التي وقع السؤال عن غنائمها، ثم عاد الحديث إلى تقرير المقصود بقول الله تعالى: (واعلموا أنما غنمتم من شيء). الأنفال٤١، [٥] ثم ختمت الآيات بذكر الغنائم في قوله تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) ٦٧ الآيات.)).[٦]

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) أسرار البلاغة: ٢٦.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة _مصر_ .

(٤) البحر المحيط في التفسير.

(٥) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، للفراهيدي، تحقيق: محمد شعبان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: ١٤١٠ه/١٩٩٠م .

(٦) الإتقان في علوم القرأن: ٢/ ١٠٨٨، للسيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ : ١٣٩٤ه/١٩٧٤م.

كما نبه عدد من النقاد على أهمية الغرض من مدح وهجاء ومراثي وتشبيه ووصف ونسيب...، من بين هؤلاء النقاد قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر)، حيث قال: ((جماع الوصل لذلك أن يكون المعنى موجهًا للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب، ولما كانت أسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده، ولم يمكن أن يؤتى على عدد جميع ذلك، كي يبلغ آخره، رأيت أن أذكر منه صدرًا ينبىء عن نفسه، ويكون مثالًا لغيره، وعيارًا لما أذكره، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء، وماهم له أكثر درسًا وعليه أشد دومًا، وهو المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب)).[١]

إلا أن هذا التحديد في الأغراض الشعرية ربما يحمل على الشائع في القرون الأولى، فقد استجدت أغراض ومقاصد للقصيدة العربية في العصور اللاحقة تحتاج إلى تأمل ودراية ودراسة، فقدامة بن جعفر أهمل الفخر والغزل والاعتذار رغم شيوع واشتهار شعراء الغزل والاعتذار والفخر في عصره، هذا الغرض الشعري الذي تميز به الشعراء بعضهم عن بعض، يقول عنه الأصمعي: ((ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء)).[٢]

هذا المجال الإبداعي للشاعر لا يقصد به أن الشاعر ليس له إلا مسلك واحد وموضوع واحد، إنما يقصد به إبداع الشاعر في غرض دون غرض، مع

---

(١) نقد الشعر:٩١، لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية_ تركيا_، ط١ : ١٣٠٢هـ.

(٢) فحول الشعراء: ١٨، للأصمعي، ت: توري، دار الكتاب الجديد، بيروت _ لبنان _ ط٢: ١٤٠٠هـ.

تضمن هذا المجال الإبداعي للعديد من الموضوعات المتفرعة للمقصد العام للقصيدة.

فالوصف مثلًا يأتي لوصف الخيل والحرب، أو وصف موقف فرح أو حزن، أو وصف الناقة أو الصحراء، أو وصف المدائن وغيرها، والشاعر المجيد في الوصف تجد وصفه جميلًا يأسر القلوب والأسماع.

فإذا تمعنت أكثر وجدت من الشعراء من يجعل وصف الخيل جلَّ اهتمامه، وما يزال يركز على هذا الغرض ويعتني به حتى يشار له بالبنان كلما طرق هذا الموضوع، كالطفيل الغنوي إذ قال فيه معاوية بن أبي سفيان ـرضي الله عنهـ: ((دعوا لي طفيلًا وسائر الشعراء لكم)).[١]

وقال عبدالملك بن مروان: ((من أراد تعلم ركوب الخيل فليروي شعر طفيل الغنوي)).[٢]

٢-**عنوان النص**: يعد أهم عناصر النوع الأدبي؛ فهو المدخل إلى قراءة الإبداع الأدبي وتخيله بصفة عامة، وهو عتبة النص وبدايته وإشاراته الأولى، وهو السمة التي تميز النص أو الكتاب عن غيره، وهو الموجه لقراءة النص وتحليله، فتحل به ألغاز التراكيب والأحداث والجمل والدلالات الضمنية.[٣]

فكانت القصيدة أو الخطبة أو القصة تعرف بين المتلقين بمناسبتها التي تمثل عنوانًا ضمنيًا لها، حتى أصبحت المناسبة فيما بعد هي العنوان الخاص

---

(١) الشعر والشعراء: ١/ ٤٣٥، لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة_مصر_: ١٤٢٣هـ

(٢) المصدر السابق: ١/ ٤٥٣

(٣) انظر: العنوان في الأدب العربي: ٢٦٤، النشأة والتطور، لمحمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١: ١٩٨٨م .

للقصيدة،[٢] ذلك أن الكلمات التي تتضمنها المناسبات تحمل بذورًا صالحة لعنوان مهيأ للظهور، لكنه استمر كامنًا فيها، ولم يظهر بكيانه مستقلًا إلا في الأدب العربي الحديث. [٣]

بل إن الشاعر عند إلقائه للقصيدة يقدم بمقدمة تمهيدية تشرح للمتلقي سبب ومناسبة وعنوان النص ثم يقول أسميتها كذا، أي: عنونت لها بكذا.

وخير ما يمثل هذه المناسبة نشأة علم المناسبات وأسباب النزول، وتقديم الحديث برواية، ومن رواه عنه في مناسبة تبين غرض الحديث ومقصده، كذلك الشأن في القصيدة والقصة والرواية والمثل وغيرها من فنون النثر التي تصدر بمناسبة هي بمثابة العنوان الصريح في العصر الحديث.

والعنوان سمة يسم الكاتب به نصه ويسميه، إذ الاسم علامة على المسمى، ويدل عليه؛ ليميزه ويفصله عن غيره من المسميات، ومن هنا تتبين الخاصية الأولى للتسمية، وهي: أن يكون علامة عليه تميزه عما سواه، وهذه الفائدة ثابتة دائمًا مع الاسم.[١]

وقد أصبح العنوان في العصر الحديث سمة ملحة، ذلك لما يثيره من تساؤلات لا تجد لها إجابة إلا في نهاية العمل الأدبي، فهو يفتق ذهن القارئ، ويحثه للبحث في مكنونات النص الأدبي حتى يفسر عنوانه، ويشرح مقاطعه، فهو بمثابة الدلالة أو السؤال، أو الإلماحة، أو المقدمة النثرية المفسرة لدلالة النص.

---

(٢) انظر: إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد: ٩٦، لسامي العجلان، دار الانتشار العربي، بيروت_لبنان_، ط١: ٢٠١٥م..

(٣) المصدر السابق .

(١) العنوان في الأدب العربي: ٢٦٤.

ولأهمية العنوان عدَّ نصًا مصغرًا تقوم بينه وبين النص الكبير ثلاثة أشكال من العلاقات:

أ- علاقة سيميائية: حيث يكون العنوان علاقة من علاقات النص ودلائله المعبرة عنه.

ب- علاقة بنائية: تشتبك فيها العلاقات بين العمل وعنوانه على أساس بنائي.

ت- علاقة انعكاسية: يختزل العمل (بناء ودلالة) في العنوان بشكل كامل، وهو تحليل يثبت مدى عناية النقاد بالعنوان.(١)حيث أن العنوان يمكن أن يجد صداه في بداية النص أو في نهايته، أو في وسطه، ويتم ذلك من خلال العلاقات التي تربط العنوان بالأجزاء النصية، فقد تكون العلاقة علاقة سبب بنتيجة، أو علاقة كل بجزء أو جزء بكل، أو علاقة تضاد أو علاقة ترادف، وتتجلى هذه العلاقات في تكرار العنوان كليًا أو جزئيًا في النص في انسجام مع فقرات النص.

<u>كما أن للعنوان ثلاث وظائف هي:</u>

- وظيفة تعيين العمل، ووظيفة تعيين محتوى العمل، ووظيفة جذب الجمهور، فالوظيفة الأولى ذات أهمية بالغة عند صياغة النص، ثم بدرجة أقل في الوظيفة التالية لها، ذلك أن العنوان بمثابة الوسم للنص، أو الكتاب الوارد فيه(٢).

- وبحسب النوع الأدبي يكون العنوان، فإذا كان العنوان واضحًا جليًا يكون النص واضحًا جليًا، وإذا كان النص موضوعًيا أو علميًا يقصد منه المؤلف

(١) العنوان في النص الإبداعي: ٢٠ عبدالقادر رحيم ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية: ٢٠٨. جامعة محمد خضير _بسكرة ، الجزائر.

(٢) انظر: إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد: ٢٩٩.

غرضًا دلاليًا، وتقل درجة الوضوح في النصوص الأدبية التي يكون كنائيا أو مجازاً، أو يدل على الزمان أو مكان أو شخصية روائية، أو القضية المحورية للنص، ففي القرآن الكريم سميت عدد من السور الكريمة بما ورد فيها من قصة أو قضية في أمر بارز في السورة كما في سورة الكهف والأعراف والبقرة وآل عمران ويوسف وغيرها، إضافة إلى ارتباطها الوثيق بمضمون الآيات الأخرى، وتعلقها بمقصود السورة.

وقد يأتي العنوان دالًا على المكان كرواية (قلعة النسور) فلاديمير بارتول، ترجمة: طلعت الأيوبي، والتي يدور محورها في رحاب قلعة الحشاشين، وقائدها علي بن الصياح، وغيرها من الروايات، والنصوص الشعرية والنثرية التي ينتقي لها المؤلف عنوانًا له دلالة تمثل فلسفة المؤلف(١).

٣-**المطالع وحسن الابتداء**: إن التأليف والتأنق في بداية الكلام دليل على بلاغة الناظم وحسن سبكه؛ لأن البدايات هي سبب إقبال السامع على الكلام أو إعراضه عنه، وهي المفاتيح إلى لبِّ الكلام ومراده لما يشتمل عليه من مناسبة للحال ودلالة عليه(٢).

ولا شك أن المطالع تختلف وتتنوع من نظم إلى آخر، ومن أسلوب إلى أسلوب؛ لذا فهي ضرب من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء البيان، ونقاد الشعر، وجهابذة الألفاظ، بأن يبدأ المتكلم بمعنى ما يريد تكميله.(٣)

وعُرِف أيضًا: بأن يُألِف المتكلم في أول كلامه، فيأتي بأعذب الألفاظ وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنى،

---

(١) انظر: العنوان في الأدب العربي: ١٩، لمحمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١: ١٩٨٨م.

(٢) انظر: الإيضاح: ٤/ ٧٠٥ .

(٣) انظر: تحرير التحبير: ١٧٠.

وأخلاها من الحشو والركاكة والتعقيد والتقديم والتأخير الملبس الذي لا يناسب المعنى.(١)

وهو أول ما يطرق الأسماع وتقع عليه العيون، ويشد انتباه المتلقي لما سيلقى عليه، أو تتلقفه أذنه؛ لذا حرص الأدباء والكتاب وأهل البلاغة والبيان على تجويد مطالع أعمالهم الأدبية التي تعتبر مفتاحًا لما نظموه وأعدوه.

وسمي هذا الفن: بحسن الابتداء، وبراعة الاستهلال، وحسن المطالع.(٢)

والراصد لهذا الفن يجده ذا أنواع متعددة، منها:

أ- المطلع التصريحي بمقصد النص، والغاية من نظمه. ذلك عندما يكون مطلع النص مبنيًا للغرض العام الذي سيق النص من أجله، ويكون مصرحًا بالمقصد الكلي، والغاية العامة من نظم الجمل(٣).

هذا النوع من المطالع يمتاز ببراعة السبك، وحسن النظم الذي ينبىء عن مضمون النص وكنهه، وهو كثير في النص العربي، عند فاتحة سورة التوبة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {التوبة:١}. ((انظر إلى هذا المطلع الذي تكاد براعته تسحر القلوب، وتبهر العقول، أما أولًا: فلمناسبته لمقاصد السورة، فإنها سيقت لنبذ العهود، وقتل الكفار حيث وجدوا، وطردهم من جزيرة العرب، وكشف أسرار المنافقين، وما إلى ذلك، فلا يكن مطلع لذلك أنسب، ولا أبلغ من مطلع المفتتح بالبراءة)).(٤) إذ مطلع سورة التوبة: ((براءة من الله ورسوله

(١) انظر: خزانة الأدب: ١/ ١٩، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة_ مصر_، ط٤ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .وزهر الآداب وثمر الألباب: ١/ ١٤١، إبراهيم بن علي القيرواني، دار الجيل، بيروت_لبنان_، ط٤.

(٢) انظر: تحرير التحبير: ١٧٠.

(٣) انظر: إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد: ١٢٠ .

(٤) التحرير والتنوير: ١/ ١٠٣.

إلى الذين عاهدتم من المشركين)). أي: قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود، فكان لفظ براءة هنا مفيدًا معنى فسخ العهد، ونبذه ليأخذ المعاهدون حذرهم)).[١]

من شواهده قول رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: ((الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقع في الحرام: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)).[٢]

فأول الحديث حكم عام يشمل كل ما أحل الله ورسوله، وما حرم الله ورسوله من المعاملات، فهو قاعدة عامة، ومن جوامع كلمه _صلى الله عليه وسلم_، ومضمونه شرح وتفصيل لما في أوله من حكم يشمل جميع أنواع المعاملات.

والحديث مقسم إلى ثلاثة مقاطع. المقطع الأول: الحلال البين، والحرم البين، وما بينها من المشبهات، والثاني: يفسر ويبين حال المشبهات، وأصناف الناس تجاهها، وضرب لذلك مثلًا يوضح ويصف حال الواقع في الشبهات والمتقي لها، أما الثالث: فخاتمة الحديث ولبه، وفيه بيان للطريقة المثلى للخلاص من هذه المشتبهات، والعلاج الناجع لتجنب الوقوع فيها.[٣]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح مسلم: ١٥٩٩.

(٣) انظر: فتح الباري: ١/ ١٢٨، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، الإسكندرية_مصر_: ١٣٧٩هـ.

قال أبو العتاهية في الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره:

إنَّ السَّلامَة أنْ تَرْضَا بِمَا قُضِيا ∴ لِيْســـــلَمَنْ بِإِذْنِ الله مِنْ رَضِيَا

الْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالآمَـــــالُ كَاذِبَةٌ ∴ والْمَرءُ تَصْحَبُهُ الآمَالُ مَا بَقِيَا

يا رُبَّ بَاكٍ عَلَى مَيْــتٍ وبَاكِيَةٍ ∴ لم يَلْبَثَا بَعْدَ ذَاكَ المَيْتِ أنْ بُكِيَا[1]

إلى آخر القصيدة التي كانت مباشرة في غرضها ومقصدها مــن البيــت الأول الذي حث فيه الشاعر على التسليم بقضاء الله وقدره والتوكل عليه، وأننــا ماضون في أقدار الله التي كُتِبَتْ في اللوح المحفوظ.

ب-إفادة المطلع السبب الذي يرجع إليه ما يتضمنه الــنص مــن معــانٍ وموضوعات: كتقديم السبب على المسبب، أو هو بيان أمر يوضح ما سيرد مــن موضوعات ومضامين: فسورة (الرحمن) ابتدأت باسم من أسماء الله _سبحانه_ثم أتبعه بذكر أفعاله، ثم أتبعه بذكر أعماله _سبحانه _ قــال القرطبــي: ((افتــتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء؛ ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله، ومن ملكه وقدرته، خرج إليهم من الرحمة العظمى؛ ورحمانيته)).[2]

ومن شواهده قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ {النساء:١}.

فالسورة اشتملت على أنواع عدَّه من التكاليف والأوامر التي تعم جميــع أمة الدعوة ممن سمع القرآن، ومن يأتي بعدهم؛ فلما كان ما بعد هذا النداء جامعًا

(١) ديوان أبي العتاهية: ٤٨١، دار بيروت_لبنان_.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧/ ١٥٩، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفــيش، دار الكتب المصرية، القاهرة _مصر_، ط١: ١٣٨٤هـ.

لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر خاطب الناس بهم جميعهم، وذكرهم بأن أصلهم واحد، إذ قال: اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد، فالمقصود من التقوى في اتقوا ربكم اتقاء غضبه، ومراعاة حقوقه، وذلك حق توحيده والاعتراف له بصفات الكمال، وتنزيهه عن الشركاء في الوجود والأفعال والصفات، وفي هذه الصلة براعة استهلال مناسبة لما اشتملت عليه السورة من الأغراض الأصيلة، فكانت بمنزلة الديباجة.(١)

قال المتنبي:

واحرَّ قَلْبَاهُ مِمَنْ قَلْبُـه شَبِـمُ ∴ ومَنْ بِجِسْمِي وحَالِي عِنْدَهُ سَقَـمُ

إني أُكَتِّم حبّاً قَدْ بَرَى جَسَدِي ∴ وتَدْعِي حُبَ سَيفِ الدْولَةِ الأُمَمُ

قَدْ زِرْتُهُ وسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةُ ∴ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسْيُوفُ دَمُ(٢)

إلى آخر القصيدة التي بدأها الشاعر بحسرة ووجد على ما يجده من حب لممدوحه، الذي طالما مدحه وأعجب بخصاله وأفعاله، حتى أن قلبه وجسمه وحاله آلت إلى السقم والوهن من فراق سيف الدولة، وفراق دولته التي عشقها وعشق أهلها، وسبب هذا الوجد والحزن؛ لفراق سيف الدولة، وسماعه للوشاة الذين سعوا في الوقيعة بينهم حتى جفاه، فاضطر إلى الرحيل عنه إلى كافور الاخشيدي.

كما ذكر الشاعر الخصال التي وجدها عند سيف الدولة، والتي جعلته يتحسر كل هذا التحسر، فكان مطلع القصيدة من براعة الاستهلال، إذ كل ما ذكر من أبيات بعده يبين ويفسر سبب الوجد والحزن.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٤/ ٢١٤.

(٢) ديوان المتنبي: ٤٤١، شرح والواحدي .

ج_ تضمين الفاتحة قَسَمًا يدل على المقسم به، أو يشير إليه، أو يؤكد شأنه وعظم أمره، وهو كثير في القرآن الكريم(١)، ففي سورة العصر أقسم الله تعالى بالدهر؛ لأن هذا القسم يدل على دلالات عدّة، منها:

- أن الناس في هذا الدهر والزمن لفي خسر وظلال مبين إلا من آمن وعمل الصالحات، وتواصى بالحق وتواصى بالصبر.
- أن العصر هو آخر النهار، وفيه تنقضي الأعمال، وتؤوب الناس إلى أهلها ومنازلها، فشبه عمل الإنسان في هذه الدنيا بعمله في حياته ومعاشه، فمنهم الكاسب المنتج الذي سلك الطريق القويم، ومنهم الخاسر الذي لم يتقن عمله.
- أن مناسبة القسم بالعصر لغرض السورة على إرادة عصر الإسلام ظاهرة، فإنها بينت حال الناس في عصر الإسلام ففريق كفر بالله، وفريق آمن واستوفى حظه من الأعمال التي جاء بها الإسلام، وحال من أسلموا وكان في أعمالهم تقصير متفاوت.(٢)

ومن شواهده قول رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))(٣)

فالقسم في أول الحديث لتأكيد ما يأتي بعده، وإحضار لذهن السامع، وهو متسق مع مضمون الحديث، لما يدل عليه أن الأنفس بيد الله لا يملك من أمرها شيئًا، وهي أمر غيبي مستقبلي للمقسم، فما ورد في الحديث أمر غيبي أخبره به علام الغيوب، ولولا إيحاء الله له لما علم منه شيئا، ومن شأن القسم أن يعزز

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧/ ١٥٩ .
(٢) نظم الدرر: ٢٢/ ٢٣٦، والبحر المحيط: ١/ ٥٣٨.
(٣) صحيح البخاري، برقم: ٢٢٢٢، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار طوق النجاة، بيروت_لبنان_، ط١: ١٤٢٢هـ.

هذه الأخبار، ويؤكدها لأنها فوق إدراك البشر، وهي دليل ثقة المتكلم بما يقولـــه، وإيمانه بوقوعه.(١)

د- المطالع الصريحة: التي تنبئ بمقصود النص، ومقصود ناظمه وهمـــه وشعوره تجاه قومه، من هذه المطالع مطلع قصيدة الشنفرى:

أقِيموا بني أُمِّي صدورَ مطيِّكم ∴ فإنِّي إلى قوم سِواكم لأمْيَلُ

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ واللَّيلُ مُقمرٌ ∴ وزُمَّت لِطيَّاتٍ مطايا وأرحُلُ

وفيْ الأَرْضِ مِنْأَى للكَرِيمِ عَنْ الأذَى ∴ وفيها لمن خافَ القلى مُتنقَّلُ

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ ∴ سَرى رَاغِباً أو رَاهِباً وَهْوَ يَعْقِلُ(٢)

فمطلع القصيدة كان صريحًا في بيان رغبة الشاعر بهجرة قومه واللجوء إلى حياة الصعاليك، وإيضاح بحالته النفسية التي وصل إليها بعد معاناته من بني قومه، فكان أول القصيدة دليلًا على مضمونها، وتصريحًا بحالة الشاعر النفسية.

وقد يأتي المطلع؛ تسلية للشاعر، فتبدأ القصيدة بالتعبير عن ذلك، وتكون وحدات القصيدة معضدة لهذا المضمون، قال أبو ذؤيب الهذلي في مرثيته لأبنائـــه الخمسة:

أمِن المَنون ورَيبـــــها تتوجَّعُ ∴ والدَّهرُ ليس بمُعتبٍ مَن يجزَعُ

قالتْ أُميمةُ ما لِجسمك شاحباً ∴ منذُ ابتُذِلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفَعُ

أمْ ما لجنبك لا يُلائـمُ مضجعاً ∴ إلاَّ أقضَّ عليك ذاكَ المضـــجَعُ

(١) بلاغة القسم في الحديث النبوي: ٥٦، أميمة بدر الدين مجلة جامعة دمشق: ٢٦، العـدد الثالث: ٢٠١٥.

(٢) ديوان الشنفرى: ٥٨، تحقيق: أميل يعقوب، دار الكتاب العربـــي، بيروت_لبنـــان_، ط:٢: ١٤١٧هـــ .

فأجبتُها أما لجسميَ إنَّهُ ∴ أودَى بَنِيَّ من البلادِ فودَّعوا

أودَى بنيَّ وأعقَبوني حَسرةً ∴ عند الرُّقاد وعَبرةً ما تُقلعُ

ولقد أرَى أنَّ البُكاءَ سلامةٌ ∴ ولَسَوفَ يولَعُ بالبُكا مَن يَجْزَعُ(١)

هـ ـ الاستفهام في مطلع النص: ويأتي لغرض يتضمنه النص، ويتضمنه مضمونه، وليس المراد به طلب الفهم، قال علقمة الفحل:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَودَعْتَ مَكْتُومُ ∴ أمْ حَبْلَها إذْ نَأتكَ الْيَوم مَصْرُومُ

أمْ هَلْ كَبِير لمْ يَقْضِ عَبْـــــرَته ∴ إثْرَ الْأَحبْة يَوم الْبَيت مَشْكومُ(٢)

مطلع القصيدة حمل التشويق، ودل على اللوعة والمحبة، كما دلَّ سياق الأبيات على عدم تعجب الشاعر أو إنكاره، إنما أراد لفت الانتباه، وجذب السامع لقوله، هذا النوع من النظم كان مألوفًا في مطلع القصائد بأن يخاطب الشاعر نفسه باستفهام في مطلع القصيدة.

من شواهده قول تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ {الإنسان: ١}.

بدأت السورة باستفهام تقريري، وهو موجه إلى غير معين، ويدل على تحقيق الأمر المقرر به على طريقة الكناية؛ لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما أقر به من وحدانية الله، وإبطالًا لإشراك المشركين، فكان

(١) ديوان أبي ذؤيب الهذلي: ٤٧، تحقيق: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، عُمان_ بورسعيد_ط١: ١٤٣٥هـ.

(٢) المفضليات٣٩٧، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف _ القاهره _ مصر ــ ط٦. .

مطلع السورة تمهيدًا لما ورد في السورة من تفصيل أن الخلق ما خلق إلا لأجله، ولم يخلقهم إلا للآخرة.(١)

هـ الفاتحة المعجمية: وهي مما أختص به القرآن الكريم، ووردت في تسع وعشرين سورة، وتعددت الأقوال في شأنها ومدلولها، ومن أجمل ما علل به حكم ورودها : ((أنها للدلالة على أن هذا القرآن أعجزكم، ولم تقدروا على سورة من مثله وهو بلسانكم، الذي طالما تفاخرتم به بينكم، وتمايز بعضكم على بعض، فها هو بالحروف التي تعرفونها وتتكلمون بها...))(٢).

أما مناسبتها للسورة الواردة فيها، فقد قال صاحب البرهان: ((افتتاح السور بالأحرف المقطعة، واختصاص كل واحدة بما بُدِئت به؛ دلالة على وجود تناسب بين السورة وهذه الأحرف، فلا يمكن أن تتصدر البقرة مثلًا بـ(ن)، ولا غيرها من السور بغير ما جعل الله لها من أحرف مناسبة))(٣)، إضافة إلى ملاءمة كل سورة مع الأحرف تكثر فيها، فسورة (ق) تكرر فيها من الكلمات ما احتوى حرف (ق). وهي من خصائص القرآن الكريم وأسرار نظمه الحكيم(٤). والله أعلم.

٤-**الخاتمة**: نالت الخاتمة حظًا وافرًا من حديث النقاد وإسهاماتهم الدلالية؛ لأهميتها وضرورة الانتقال الذكي من جزء إلى آخر، وسميت الخاتمة: براعة التخلص، و حسن الخاتمة، والانتهاء، والفذلكة، والخلاصة: وهي الخاتمة

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١/ ١٢٣.
(٢) انظر: إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد: ٣١٥ .
(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٧٢.
(٤) انظر: المصدر السابق.

التي تكون تلخيصًا أو بيانًا لما سبق جزء الخاتمة، أو تنبيه المخاطب إلى أمر هو أولى[١].

والخاتمة سمة أسلوبية، وآلية عمل تختلف من نص إلى آخر، وناظم إلى ناظم، ومن أسلوب إلى أسلوب، عرفه صاحب جواهر البلاغة بـ((أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرًا بالتمام حتى تتحقق (براعة المقطع) بحسن الخاتمة، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع، وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به. [٢]

ولا يمكن الجزم بنوع محدد للخاتمة في النص العربي، إنما الأمر يعتمد على التتبع الدقيق لخصائص النصوص، فقد تكون الخاتمة تقريرية أو تأكيدية لغرض النص، ففي سورة الزلزلة ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، تفريغ وفذلكة وانتقال للترغيب والترهيب بعد الفراغ من إثبات البعث والجزاء، والتفريغ كان عقب صدور الناس أشتاتًا،[٣] فكانت الخاتمة بمثابة الخلاصة لمضمون السورة، وتكميلًا لها.

ومن شواهده خاتمة حديث: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)).[٤]

قسم الحديث إلى ثلاثة أقسام ومقاطع هي: الحلال بين والحرام بين وما بينهما من المشتبهات، في القسم الأول، ثم التفسير والبيان في القسم الثاني، ثم

---

(١) انظر: تحرير التحبير: ٦١٨ .
(٢) انظر: جواهر البلاغة: ١/ ٣٤٤.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٤٩٤.
(٤) صحيح البخاري، برقم: ١٥٩٩.

الخاتمة في القسم لثالث، وفيها بيان للطريقة المثلى للخلاص من هذه المشتبهات وسبل تجنب الوقوع فيها.

وختم النص بحديثه عن القلب الذي يمثل الطريقة المثلى والسبيل القويم للخلاص مما من شأنه الوقوع في المحرمات والشبهات، فإذا كان القلب صالحًا ميز الحلال والحرام والمتشابه.

أما سبب تخصيص القلب بالذكر؛ فهو أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده يفسد الأمر كله. والله أعلم.

وقد تكون الخاتمة تفصيلية لما أجمل في السورة،[١] كما ورد في خاتمة سورة الفاتحة، قال الزركشي: ((تفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ((الذين أنعمت عليهم)) الفاتحة:[٧]ثم وصفهم بقوله: ((غير المغضوب عليهم ولا الضالين))أي: أنهم جمعوا بين النعم المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله)).[٢]

ويدخل فيه الاستثناء من إجمال سابق ورد في النص، قال تعالى﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]، فلما كان الحكم عامًا للإنس بالخسران وكان فيهم المخلص لله سبحانه، استثناهم سبحانه وتعالى لقلتهم بالمقارنة مع أهل الخسران....[٣]

---

(١) انظر: الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية: ٢٣٢، سامي العجلان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١: ١٤٣٠هـ.

(٢) البرهان للزركشي: ١/ ١٨٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث العربي، ودار المعارف، بيروت _لبنان_، ط١: ١٣٧٦ه/١٩٥٧م . والوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية: ٢٣٢ ..

(٣) انظر: نظم الدرر : ٢٢/ ٢٣٨..

وقد تكون الخاتمة تكرارًا لما ذكر في فاتحة السورة : ((فمن أسرار مناسبة فواتح السورة وخواتمها، تأمل سورة القصص، وبداءتها بقصة مبدأ أمر موسى، ونصرته، وقوله : ((فلن أكون ظهيرًا للمجرمين)) القصص: ١٧، وخروجه من وطنه، فجاءت الخاتمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرًا للكافرين، وتسلية بخروجه من مكة، والوعد بعودته إليها، بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ {القصص:٨٥})).[١]

وتأتي الخاتمة كذلك لإكمال المعنى، وتتميمه، قال الطبرسي عند خاتمة سورة النساء: ((لما بين _سبحانه_ في أول السورة بعض سهام الفرائض؛ ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك)).[٢] في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء:١٧٦] .

ومن العلاقات أيضًا العلاقة التقابلية بين الفاتحة والخاتمة في سورة (المؤمنون): حيث ((جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {المؤمنون:١}، وأورد في خاتمتها: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ {المؤمنون:١١٧}؛ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة)).[٣]

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ٣/ ٣٣١.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ٦/ ٣٠٩- ٣١٠..

(٣) الكشاف للزمخشري: ٣/ ٢٠٧، والوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية: ٢٤٠..

وقد تفيد الخاتمة التعليل، يقول ابن عادل الحنبلي في خاتمة سورة يوسف: ((قال في أول السورة ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ {يوسف:٣}، وفي الخاتمة: ((لقد كان في قصصهم عبرة ...)) وذلك تنبيه على أن حسن هذه القصة إنما هو لأجل حصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والقدرة)). (١)

هذا بعض النماذج لخاتمة النص، والتي تخضع لحسن النظم أو سوء استخدام الخاتمة في النصوص العربية، كما تتنوع الطرائق المستخدمة في ختم النص العربي، ففي القصة قد تكون الخاتمة مأساوية، أو منفرجة ومفتوحة تحمل تأويلات عدة، وتخضع لقدرة محلل النص على إيجاد خاتمة مناسبة.

وفي النص الشعري قد تكون الخاتمة حكمة أو تشبيه أو تدليل أو إيحاء، هذا النوع من ختم النصوص يحتاج إلى دراسة خاصة تخضع للتحليل، والاستنباط العميق.

٥- **التكرار**: من الظواهر الأسلوبية الشائعة في الخطاب اللغوي تكرار الجمل والنصوص والعبارات في أكثر من موضع، وفي سياقات متعددة، مما يتطلب إيجاد مناسبة بين المضامين ومقاماتها، ذلك لما تحمله من دلالات وأغراض ومقاصد لا حصر لها، قال القاضي عبدالجبار: ((ليس المعتبر بتكرار اللفظ؛ لأنا نعلم أن الحروف والكلمات متكررة في كل الكلام، إنما المعتبر بالأغراض والمقاصد، فربما كان المشبه به في اللفظ غير متكرر، وربما كان المتباين في اللفظ متكررًا، وهذا بين)). (٢)

---

(١) اللباب: ١١/ ٢٣١، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان_ط١: ١٤١٩هـ.

(٢) المغني: ١٦/ ٤٠٠، لابن قدامة الحنبلي، مكتبة القاهرة_مصر_١٣٨٨ه/١٩٨٦م.

والتكرار تكرار لفظي ومعنوي على مستوى النص أو النصوص، كتكرر مجموعة من الجمل في مواضع متعددة من القرآن والسنة أو كلام العرب، وذلك باختلاف المتعلق الذي ترتبط به الجمل المكررة في كل مرَّة، وتتجدد معانيها بناء على ذلك، ففي سورة الرحمن تكررت آية: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٣١ مرة، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه السورة نعمه، وآلاء خلقه، وبديع صنعه، ودلائل وحدانيته وعظمته وقدرته، ثم أتبع ذلك بذكر آية (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليذكرهم بنعمه، ويقررهم بها، في هذا التكرار بالغ الأثر على المتلقي، وغاية التأكيد والزجر على نكران النعم.

والخطاب في الآيات لعامة الثقلين: الجن والإنس، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ {الرحمن:٣١} ، وقوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ {الرحمن:٣٣}، وقوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ {الرحمن:٣٥}، وتوجيه الخطاب إلى عالمي الإنس والجن فيه ذكر للنعم التي يتنعم بها الجن والإنس، وذكر كثير من الآلاء التي يقررهم الله بها؛ ليتأمل المتلقي عظيم فضل الله عليه بها. (١)

هذا الحوار الإلاهي للثقلين (الجن والإنس)، يدل على ضرورة التفكر في النعم التي منحها الله لهم، ومفادها سؤال الإنس والجن أنفسهم هذا السؤال: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، فإن لم تكذبوا بهذه النعم فلماذا تتنكرون لولي نعمتكم؟ ولماذا لا تجعلون شكره وسيلة لمعرفته؟ ولماذا لا تعظمون شأنه؟.(٢)

---

(١) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤٥٥/٩، للطبرسي، دار العلوم، بيروت_لبنان، ط١: ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: المصدر السابق.

وفي سورة المرسلات تكررت آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ {المرسلات:١٥}.

وتكررت الآية في السورة عشر مرات؛ للإنذار والترهيب والوعيد مع اقترانها بتقرير عظيم صنع الله وقدرته، كما أفاد التكرار التقريع والتبكيت لكل من كذب بأن مصيره إلى العذاب والهوان والخسران، لذا ختمت السورة بقوله: فبأي حديث بعده يؤمنون، أي: بما أنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم، فإنهم لا يؤمنون بغيره؛ لذا كرر الويل للمكذبين مرة بعد مرة، ولا ريب في أن تلك غاية الإنذار والوعيد والترهيب.(١)

إضافة إلى ذلك فإن كل آية من الآيات السابقة لقوله تعالى: ((ويل يومئذ للمكذبين)) تقتضي التصديق؛ لذا جاء الوعيد على من كذب. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: ((ويل يومئذٍ للمكذبين)) بمنزلة التذييل، فحصل في هذا النظم أسلوب رائع ومعان بدائع، وبعض المفسرين جعل الجملة جوابًا لـ(إذا) أي: تتعلق (إذا) بالاستقرار الذي في الخبر وهو للمكذبين، وهو كالبيان لقوله: إنما توعدون لواقع، فيحصل تأكيد الوعيد.(٢)

وفي سورة البقرة تكررت آية: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾{البقرة:١٣٤- ١٤١}. فالأولى خطاب لليهود والنصارى بشأن إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وفي الآية الثانية تكرارًا للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطبائع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم، قال البيضاوي: ((الخطاب في الأولى لهم (اليهود والنصارى)، وفي الثانية لنا تحذيرًا

(١) أسرار التكرار في القرآن الكريم : ٦٠، للكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة_ مصر_، ط٣: ١٣٩٨ه/١٩٧٨م.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٢٧.

عن الاقتداء بهم))،[١] وهي بمثابة الفذلكة للقصة، أي: خاتمة تبين المراد من القصة التي وردت، وما هو مطلوب أن نعمل به.

أما التكرار في البيت الشعري فقد وجد منذ القدم، إذ عد التكرار واحدًا من وسائل التعبير التي تسهم في إغناء المستوى الصوتي والدلالي داخل النص الشعري، بل هو نوع من الترنيم الذي يزيد تشويق السامع أو القارئ للقصيدة، من نماذجه في الشعر الجاهلي قول المهلهل:

ذهبَ الصلح أوْ تردوا كليباً ∴ أَوْ تَحُلُّوا عَلَى الْحُكُومَةِ حَلاَّ

ذهبَ الصلحُ أوْ تردوا كليباً ∴ أَوْ أُذِيقَ الْغَدَاةَ شَيْبَانَ ثُكْلاَ

ذهبَ الصلحُ أوْ تردوا كليباً ∴ أوْ تنالَ العداةُ هوناً وَذلاَّ [٢]

وهو يستدعي بذلك إيذانًا بعزمه على الحرب، وردًا على قصيدة الحارث ابن عبادة، التي افتخر فيها.

ومن النماذج المألوفة في العصر الحاضر: تكرار بيت من المقطوعة الشعرية في ختام مجموعة من الأبيات،[٣] يقول ميخائيل نعيمة في قصيدة (الطمأنينية):

سَقْفُ بَيْتي حَديدْ ∴ رُكْنُ بَيْتي حَجَرْ

فاعْصِفي يا رِياحْ ∴ وَانْتَحِبْ يا شَجَرْ

وَاسْبَحي يا غُيومْ ∴ وَاهْطِلي بِالْمَطَرْ

وَاقْصِفي يا رُعودْ ∴ لَسْتُ أَخْشى خَطَرْ

(١) تفسير البيضاوي: ١/ ١١٠..

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة: ٦٠، تحقيق: طلال حرب، الدار العالمية..

(٣) ديوان مخائيل نعيمة: ٩٥، نوفل، بيروت_لبنان_ط٦: ٢٠٠٤م..

سَقْفُ بَيْتِي حَدِيدْ ∴ رُكْنُ بَيْتِي حَجَرْ

مِنْ سِرَاجِي الضَئِيلُ ∴ أسْتَمِدُ الْبَصَر

كُلَّمَا اللَيلُ جَاءَ ∴ والظَلَامُ انْتَشَر

وإِذَا الفَجْرُ مَاتَ ∴ والنْهَارُ انْتَحَر

فاخْفِقِي يَا نُجُومِ ∴ وانْطَفِئِ يَا قَمَر

مِنْ سِرَاجِي الضَئِيلُ ∴ أسْتَمِدُ البَصَر(١)

فافتتح المقطوعة ببيت وانتهت بالبيت الذي بدأت به، وهو نموذج من التكرار الممتع للقصيدة، والذي يفضي عليها نغمًا معبرًا، وترنيمًا جميلًا.

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٤٠٥.

المبحث الثاني

علاقة النص بالوحدات القريبة منه:

١- (تداعي المعاني):

أقصد به في هذا الباب ما تتم به معاني الجمل في مواضع عدَّة، كأن تأتي جمل أو مجموعة من الجمل تتضمن شيئًا من الإجمال أو الإبهام أو ذكر الشيء دون ذكر أقسامه، أو الإلماح في موضع دون التصريح، ثم ما يلبث القارئ حتى يجد التفصيل أو الإيضاح أو ذكر تقاسيم الشيء وتفرعاته في موضع آخر من النص غير متصل بالأول، أو في نص آخر، أو في آخر الرواية أو القصة(١).

هذا النوع من الدراسة غزير الفائدة، حيث يربط بين الجمل والنصوص، وبين الجمل والوحدات السياقية المشابهة لها في النظم والأسلوب، أول أنواعه:

أ-الإيضاح بعد الإبهام: تظهر أهمية هذا النوع: بجمعه بين النصوص، ودلالته المستنتجة من خلال مساقاتها، ففي القرآن الكريم وردت عدد من القصص القرآني في مضان السور، فأجمل في بعضها، ولم يأت البيان والتفصيل إلا في موضع آخر، كقصة موسى وفرعون والسحرة التي وردت في مواضع عدَّة، وعند الجمع بين ما ورد في سورة الأعراف:١١١- ١٢٦، وطه: ٥٧- ١٧٣، والشعراء: ٢٩- ٥١ ويونس: ٧٩- ٨٢.

بالجمع بين هذه الآيات يتضح المشهد القرآني كاملًا في صورة متكاملة الملامح، إذ يظهر في كل سورة ملمح جديد، وفائدة مستنبطة لم تظهر في غيرها، ولا يظهر المعنى جليًا إلا من خلال الجمع والربط بين هذه الآيات، مع أن ورودها

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٦٩ .

في موضعها بهذه الصورة لمناسبة ودلالة متوافقة ومتسقة مع مضمون السورة الواردة فيها.

ففي سورة الأعراف أوجز في العرض مع إظهار حالة التوتر والرهبة التي أصابت الناس من كيد السحرة، أما في سورة طه كان التفصيل في أصل السحر، وفي حوار السحرة مع بعضهم، وجمع فرعون للناس لإضلالهم، وفي سورة الشعراء تبين كيف جمع فرعون الناس ليزيد في إضلالهم، وليبين لهم أن ما انتشر بين الناس من شأن موسى الذي صدقه كثير منهم ما هو إلا سحر كما زعم، أما في سورة يونس فقد بين الله _سبحانه_ حكم السحر والسحرة، وبين شأنهم وما اقترفوه.(١)

وفي معرض ذكر قصة قوم لوط قال الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ {الشعراء:١٧٣}، والمطر في السورة يوهم السامع أو القارئ أن المطر غزير، ولم يتضح نوع المطر إلا في سورة الحجر: ٧٤، حيث قال: ((فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل))، فتبين نوع المطر المذكور في سورة الحجر وإن كانت الآية قد تحمل على أن المطر مطران: مطر من الحجارة بعد إهلاك أهل القرية وجعل عاليها سافلها، ومطر من ماء بعد مطر الحجارة. (٢) والله أعلم.

ومن أوسع هذه الدلالات الإجمالية ما ذكره العلماء عن سورة الفاتحة التي أفتتح بها كتاب الله _عز جل_، وما تضمنته من إجمال بيانه وتفصيله فيما ورد في الكتاب كله، قال ابن الزبير في البرهان: ((وقد ذكر الناس كيفية تضمنها

---

(١) انظر: أسلوب التفضيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم: ٢٢، جامعة النجاح الوطنية، هاني خضر، فلسطين: ٢٠١٣م.

(٢) انظر: التحرير والتحبير: ١٤/ ٦٧..

مجملًا لما تفصلَّ في الكتاب العزيز بجملته، وهو أوضح وجه في تقدمها سوره المكرمة))[١]، أي: أن هذه السورة بمثابة تلخيص لمجمل سور القرآن.[٢]

وروي عن عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا نَعْرِفُهُ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)) قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: ((مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا، بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)) قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: ((أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ))، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ((يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟)) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[٣].

---

(١)انظر: البرهان في علوم القرآن: ٧٧.

(٢) انظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع: ٦ للسيوطي، تحقيق: عبدالمحسن العسكر، دار المنهاج، السعودية_الرياض_، ط١: ١٤٢٦هـ، والوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية: ٣٤٠.

(٣) صحيح البخاري، برقم: ٤٦٩٥..

فالحديث من جوامع كلم النبي _صلى الله عليه وسلم_ اشتمل هذا الحديث على جميع طوائف العبادات الظاهرة والباطنة ، وأعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.(١) وهو ما سوغ ابتداء عددًا من العلماء كتبهم به؛(٢) اقتداء بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة، لما تضمنته من علوم القرآن إجمالًا، وما تضمنته من علوم السنة كذلك(٣).

كما ذكر ابن تيمية أن الأحاديث التي عليها مدار الدين هي: ((إنما الأعمال بالنيات...))، و((من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ))، و((الحلال بين والحرام بين))؛ ذلك أن الدين فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، والذي أمر الله به نوعان: أحدهما العمل الظاهر وهو ما كان واجبًا أو مستحبًا، والثاني: العمل الباطن وهو إخلاص الدين لله. فقول: (من عمل عملًا) إلخ، ينفي التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به أمر إيجاب، وأمر استحباب، وقوله: (إنما الأعمال بالنيات بين العمل الباطن، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في دين الله).(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم: ١/ ١٠٠، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت _لبنان_، ط٧: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٢) صحيح مسلم: ٨.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١/ ٣٧، عبد الله بن محمد المباركفوري: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية بفارس _ الهند_، ط٣: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٢م .

(٤) مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ١٨/ ٢٤٩، تحقيق: عبدالرحمن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة_السعودية_، ط١: ١٤١٦هـ.

من شواهده أيضًا قول الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ {النساء:١١}، وقوله: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ ﴾ {النساء:١٢}، فالآيات بينت إجمالًا الوارث والمورث دون بيان ديانته ومن يخرج منهم عن الوراثة، ولم يأت البيان والتفصيل إلا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم)).(١)

ومنه أيضًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فيما سقت الأنهار والغيم العشور)) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فِيمَا سَقَتِ الْأَنْهَارُ، وَالْغَيْمُ الْعُشُورُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّانِيَةِ نِصْفُ الْعُشْرِ)).(٢)، وقول البخاري: ((فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ))(٣)، فاللفظ عام في زكاة الثمار والحبوب وغيرها قليلها وكثيرها، ويفهم منه العموم دون تحديد الجنس والكمية، إلا أن حديث ((لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ))، وقوله: ((لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسَاقٍ مِنْ تَمْرٍ، وَلَا حَبٍّ صَدَقَةٌ))(٤)، خصص العموم في الكمية، وأخرج ما دون خمسة أوسق، فليس فيها زكاة، مع أنه داخل فيما سقته السماء؛ لأنه لم يبلغ النصاب، كذلك لفظ (أوسق)، أي: ما يكال من الوسق، فما لا

(١) سنن ابن ماجة: ٢٧٢٩، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق_سوريا_، ط١: ١٤٣٠هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة" باب: ما فيه العشر أو نصف العشر"، برقم: ٩٨١.

(٣) صحيح البخاري: ١٤٨٣.

(٤) صحيح مسلم،كتاب الزكاة، برقم: ٩٧٩.

يكال عادة لا زكاة فيه، فخصص الكم والنوع.(١)، حيث فسر الحديث مضمون حديث آخر وبين إجماله.

ومما ورد في القصص القرآني الكريم، تفسير ما أجمل في أول السورة بما ورد في مضمونها: كقصة يوسف عليه السلام، وقصة موسى والخضر، ففي قصة يوسف قال يوسف لأبيه: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ {يوسف:٤}، ولم يأت تفسير الرؤيا إلا في الآية: ١٠٠، في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ {يوسف: ١٠٠}.

وفي قصة موسى والخضر لم يأت تأويل ما فعله الخضر في السفينة والغلام والجدار، وسبب عمله ذلك إلا في آخر القصة القرآنية الكريمة عند قوله: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾. [الكهف: ٧٩-٨٢].

---

(١) انظر: شرح الورقات في أصول الفقه: ١٤٢، لتاج الدين المحلي، تحقيق: حسام الدين عفانة، جامعة القدس، فلسطين، ط١: ١٤٢٠هـ، والفصول في الأصول:١/ ٤١٦، للجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ط٢: ١٤١٤هـ، والعدة في أصول الفقه: ٢/ ٦٢٥، للفراء، تحقيق: أحمد السير المباركي، ط١: ١٤١٠هـ، مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.

٢- **تكرار المعنى**: يدخل فيه كل ما يتعلق بالسياق العام للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتكرار المعاني في كلام العرب شعرًا ونثرًا، وهو مبحث واسع الدلالة والمحتوى، وأوردته في هذا الموضع لبيان العلاقة الدلالية بين مقتضيات الجملة العربية، ففاتحة الكتاب مثلًا يندرج تحتها جميع ما تفرع في الكتاب الحكيم، فهي أم الكتاب ومفتتحة، وجمعت بين التمجيد والاستعانة والطلب ثم الاستعاذة، وخاتمة القرآن تقرير وتأكيد لما ورد فيه من معان ودلائل، يقول النسفي في تفسيره: ((كل القرآن في بيان التوحيد والطاعات، ومدح أهلها وذكر الوعد عليها، وبيان الكفر والمعاصي وذم أهلها وذكر الوعيد عليها، وسورة الإخلاص في تصحيح التوحيد والمعوذتان في الاستعاذة عمن قصد إذلالك وإزالتك عن التوحيد)).[١]

٣- **التقابل**: والمقابلة في هذا الموضع تكون بين النصوص، ذلك أنه يكون بين النصوص ما يكون بين الجمل، فيكون بين نصين تضاد ومقابلة في المعنى، أو في اللفظ والمعنى، ومنطوق الحديث يعارض منطوق حديث آخر، هذا النوع من المقابلة من خصائص الدراسات السياقية العامة التي تدرس دلائل النصوص، وتجمع بينها في مقامات وسياقات مختلفة. [٢]

من شواهده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا)).[٣] وروي بزيادة ((فما فوق))، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ)).[٤]

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ٧٠..
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ١٨٢ .
(٣) صحيح مسلم، برقم: ١٦٨٤.
(٤) صحيح البخاري، برقم: ٦٧٩٩.

فدل الحديث الأول على أن يد السارق لا تقطع في أقل من ربع دينار، وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، إلا أن الحديث الثاني أشار إلى أن يد السارق تقطع في البيضة والحبل، والبيضة والحبل لا تساوي ربع دينار في ذلك الزمن، فعارض مدلول الحديث الأول بقوله: ((إلا في ربع دينار فما فوق)).

وتوجيهه أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله السارق...)) أتى في مقام التنفير والوعيد لا الحصر والتحديد، أي: (ذم السارق، وذم فعله لا تحديد القدر الذي يستوجب القطع، فالبيضة والحبل ليس المراد بهما جنس البيض أو الحبل، إنما (البيضة) كناية عما يستقبله الناس، والحبل كناية عن المستحقر، فإذا كان الأمر كذلك في اليسير والمستحقر فإن كثيره من باب أولى،[١] قال القرطبي: ((خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير، كما جاء في معرض الترغيب بالقليل مجرى الكثير في قول رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: ((من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتًا في الجنة))، وقيل: إن ذلك مجاز من وجه آخر، ذلك أنه إذا رضي بسرقة القليل سرق الكثير فقطعت يده، وأحسن من هذا ما قاله الأعمش وذكره البخاري في آخر الحديث، حيث قال: كانوا يرون أنه بيض حديد، والحبل منها ما يساوي دراهم. قلت: كحبال السفينة وشبه ذلك)).[٢] ويعضده قول عائشة رضي الله عنها، قالت: ((لم تقطع يد سارق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم_ في أقل من ثمن المجن، أو حجفة أو ترس وكلاهما ذو ثمن)).[٣]

---

(١) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢/ ١٨٦، للقرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي وعمر البكيري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب:١٣٨٧هـ، والمنتقى: ٢/ ١٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦/ ١٦١.

(٣) التمهيد : ٢/ ١٨٦، والمنتقى: ٢/ ١٢١.

أما في كلام العرب يمكن عد المفارقة بين النصوص خير مثال لهذا النوع للتناسب بين النصوص سواءً كانت المفارقة تضادية، أو تصويرية، أو غيرها من صور المفارقة النصية، ففي مقامات الحريري نجد بطل المقامة يحن إلى موطنه (سروج)، ويشتاق إليها مفتخرًا بها، بل ويحلم بالعودة إليها فيقول:

غسّانُ أُسرَتيَ الصّميمَهْ ∴ وسُروجُ تُرْبَتي القَديمَهْ

فالبَيتُ مثلُ الشّمْسِ إشْ ∴ راقاً ومنزِلَةً جسيمَهْ

والرّبْعُ كالفِرْدَوْسِ مطْ ∴ يَبَةً ومَنْزَهَةً وقيمَهْ [1]

ثم لم يلبث حتى يهجو وطنه في المقامة النجرانية بعد المقامة العمانية:

لا تَصْبوَنّ إلى وطَنْ ∴ فيهِ تُضامُ وتُمتَهَنْ

وارْحَلْ عنِ الدّارِ التي ∴ تُعْلي الوِهادَ على القُنَنْ

واهْرُبْ إلى كِنٍّ يَقي ∴ ولوَ أنّهُ حِضْنا حضَنْ

وارْبأ بنَفسِكَ أنْ تُقي ∴ م بَحيثُ يغْشاكَ الدّرَنْ

وجُبِ البِلادَ فأيُّها ∴ أرْضاكَ فاخْتَرْهُ وطَنْ

ودَعِ التّذكُّرَ للمَعا ∴ هِدِ والحَنينَ إلى السّكَنْ

واعْلَمْ بأنّ الحُرّ في ∴ أوطانِهِ يَلْقَى الغبَنْ

كالدُّرِّ في الأصْدافِ يُستزْ ∴ رى ويُبْخَسُ في الثّمَنْ [2]

(١) مقامات الحريري: ٦٥، دار المعارف، لبنان_بيروت_: ١٨٧٣م.

(٢) المصدر السابق: ٦٦.

الخاتمة

تناول البحث جملة من مساقات النص العامة بين النصوص، والروابط الدلالية بينها، والتي دارت داخل حدود النص وخارجه.

وقد بينت هذه الدراسة طرائق الربط بين الجمل في إطارها العام، ومساقات النص الكبرى، التي تناولت الوحدة العضوية والموضوعية داخل إطار النص وحدوده، فتضمنت الدراسة الترابط بين وحدات النص الواحد في المبحث الأول، والعلاقات العامة على مستوى النص، كحسن الابتداء، وحسن الخاتمة، وعلاقة فاتحة النص بخاتمته.

أما المحث الثاني: فتحدث عن علاقة النص بالوحدات القريبة منه، أو تشابه النظم بين نصين متباعدين، وغيرها من الأسرار التي تثري دلالة النصوص.

ولاشك أن الدلالة الكلية للنص تختلف من جنس أدبي إلى آخر، وتتنوع بتنوع الأسلوب، ذلك أن طرق النظم تختلف، فالخصائص الدقيقة للنظم القرآني ليست كخصائص النص النبوي أو الشعري أو القصة والرواية.

كما أن معضدات الدلالة السياقية في نص ما قد تختلف بين جنس أدبي وآخر، ذلك أن خصائص الإبداع النظمي متنوعة ومتجذرة، إلا أن الإطار العام للدراسة التحليلية واحد في الغالب.

ثم إن مستويات التحليل الدلالي تختلف كذلك بين النصوص، وتخضع لمقاييس ومحددات كثيرة تؤثر في بيان الخصائص الإبداعية.

هذا جهد المقل، وأسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
٢. أسرار البلاغة، لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة _مصر_: (د_ت).
٣. أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان):، للكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة_مصر_، ط٣: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤. أسلوب التفضيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، هاني خضر، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين: ٢٠١٣م.
٥. الأسلوب والأسلوبية، لكراهم هاف. ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق، القاهرة_ مصر_ ط١: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٦. إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، لسامي العجلان، دار الإنتشار العربي، بيروت_لبنان_، ط١: ٢٠١٥م.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان_ ط١: ١٤١٨هـ.
٨. الإيضاح للخطيب القزويني، عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت _لبنان_ط٣: (د_ت).
٩. البديع لابن المعتز، دار الجيل، بيروت_لبنان، ط٤.
١٠. بلاغة القسم في الحديث النبوي، أميمة بدر الدين، مجلة دمشق، العدد الثالث: ٢٠١٥٤م.
١١. البحر المحيط في التفسير، لابي حيان الأندلسي، تحقيق: صديق جميل، دار الفكر، بيروت _لبنان_: ١٤٢٠هـ.

١٢. البرهان في تناسب سور القرآن للفراهي، تحقيق: محمد شعبان، وزارة الأوقاف والشوؤون الإسلامية، المغرب: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
١٣. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث العربي، ودار المعارف، بيروت _لبنان_، ط١: ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
١٤. بيان إعجاز القرآن أو البيان في إعجاز القرآن، للخطابي، تحقيق: محمد زغلول، دار المعارف، مصر_القاهرة_،ط٢: ١٩٧٦م.
١٥. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الأصبع العدواني، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى لإحياء التراث الإسلامي، عمان _الأردن_: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
١٦. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان_، ط١ : ١٤١٩هـ.
١٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة _مصر_، ط١: ١٣٨٤هـ.
١٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للقرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي وعمر البكيري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب:١٣٨٧هـ.
١٩. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت _لبنان_، ط٧: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٥- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بريوت _لبنان_، ط٢٩: ١٤٠٣هـ.

١٦- خزانة الأدب ولب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة_ مصر_، ط٤ : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

١٧- دلالة السياق، ردة الله الطلحي، سلسلة الرسائل العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة(رسالة دكتوراه)، ط١ : ١٤٢٢هـ.

١٨- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، عُمان_يور سعيد_ط١: ١٤٣٥هـ.

١٩- ديوان أبي العتاهية: ٤٨١، دار بيروت_ لبنان .

٢٠- ديوان الشنفرى، تحقيق: أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان_، ط:٢: ١٤١٧هـ .

٢١- ديوان مخائيل نعيمة، نوفل، بيروت_لبنان_ط٦: ٢٠٠٤م.

٢٢- ديوان المهلهل بن ربيعة، تحقيق: طلال حرب، الدار العالمية.

٢٣- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان، ط،١: ١٤٢٢هـ.

٢٤- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي القيرواني، دار الجيل، بيروت_لبنان_، ط٤: (د_ت).

٢٥- سنن ابن ماجة، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق_سوريا_، ط١: ١٤٣٠هـ.

٢٦- شرح ديوان المتنبي للعكبري، تحقيق: مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت_ لبنان_،(د.ت).

٢٧- شرح الورقات في أصول الفقه لتاج الدين المحلي، تحقيق: حسام الدين عفانة، جامعة القدس، فلسطين، ط١: ١٤٢٠هـ.

٢٨- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة_مصر_: ١٤٢٣هـ.

٢٩- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار طوق النجاة، بيروت_لبنان_، ط١: ١٤٢٢هـ .

٣٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان_(د_ت) .

٣١- العدة في أصول الفقه للفراء، تحقيق: أحمد السير المباركي، ط١: ١٤١٠هـ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٢- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث، بيروت_لبنان.

٣٣- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، لمحمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١: ١٩٨٨م.

٣٤- العنوان في النص الإبداعي، عبدالقادر رحيم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة_الجزائر: ٢٠٠٨م.

٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، الإسكندرية_مصر_: ١٣٧٩هـ.

٣٦- فحول الشعراء، للأصمعي، ت: توري، دار الكتاب الجديد، بيروت_لبنان_ ط٢: ١٤٠٠هـ.

٣٧- الفصول في الأصول، للجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ط٢: ١٤١٤هـ.

٣٨- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان_، ط٣ : ١٤٠٧هـ.

٣٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان_، ط ١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٤٠- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان_ط١: ١٤١٩هـ.

٤١- اللمع في العربية، لابن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية_الكويت.

٤٢- مجمع البيان للطبرسي في تفسير القرآن، للطبرسي، دار العلوم، بيروت_لبنان، ط١: ٢٠٠٥م.

٤٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة_السعودية_، ط١: ١٤١٦هـ .

٤٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع للسيوطي، تحقيق: عبدالمحسن العسكر، دار المنهاج، السعودية_الرياض_، ط١: ١٤٢٦ه.

٤٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبد الله بن محمد المباركفوري: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية بفارس _ الهند_، ط٣: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م .

٤٦- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، المكتبة الإسلامية، بيروت_لبنان_ط٣: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٧- المغني لابن قدامة الحنبلي، مكتبة القاهرة_مصر_١٣٨٨هـ/١٩٨٦م.

٤٨- المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف_القاهره_ مصرط٦.

٤٩- مقامات الحريري، دار المعارف، لبنان_بيروت_: ١٨٧٣م.

٥٠- المنتقى في شرح الموطأ، لسليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي، طبعة دار السعادة، القاهرة _مصر_، ط١: ١٣٣٢هـ.

٥١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة _مصر_(د.ت).

٥٢- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية_ تركيا_، ط١ : ١٣٠٢هـ .

٥٣- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، سامي العجلان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١: ١٤٣٠هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٥٤٧٩
٢	المبحث الأول : الترابط بين وحدات النص	٥٤٨١
٣	غرض النص ومقصده :	٥٤٨١
٤	عنوان النص	٥٤٨٤
٥	المطالع وحسن الابتداء	٥٤٨٧
٦	الخاتمة :	٥٤٩٥
٧	التكرار :	٥٤٩٩
٨	المبحث الثاني : علاقة النص بالوحدات القريبة منه	٥٥٠٤
٩	تداعي المعاني	٥٥٠٤
١٠	تكرار المعنى	٥٥١٠
١١	التقابل	٥٥١٠
١٢	الخاتمة	٥٥١٣
١٣	ثبت المصادر والمراجع	٥٥١٤
١٤	فهرس الموضوعات	٥٥٢٠